

الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

بقلم

الدكتور / سليمان بن صالح القرعاوي^(٧)

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد : فلقد كان القرآن الكريم، وسيظل بإذن الله المصدر الثري للأمة الإسلامية في رجوعها إليه في شئونها واحتكامها إليه في قضاياها. وهو معينها الذي لا ينضب في إرواء ظمئها العلمي والفكري وهو كنزها الذي لا يفنى في إغنائها من خزائنه لبناء تاريخها وحضارتها مهما

(*) — تاريخ ومكان الميلاد : عام ١٣٧٤هـ — بريدة — القصيم — المملكة العربية السعودية.

المؤهلات العلمية :

— ليسانس في الشريعة الإسلامية من كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٩٨هـ.

— ماجستير في التفسير والحديث — بتقدير امتياز — كلية التربية — جامعة الملك سعود عام ١٤٠٣هـ.

— دكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى في القرآن الكريم وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧هـ.

العمل :

— أستاذ مساعد بكلية التربية — قسم الدراسات الإسلامية.

— ويعمل الآن وكيلاً لكلية التربية — بجامعة الملك فيصل بالأحساء.

المؤلفات :

١ — فهرس لكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي.

٢ — الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة تحت الطبع.

تطاول الزمن وتعاقبت الدهور، ولقد أودع الله سبحانه معاني كتابه الكريم في قوالب لفظية عربية، وزينه بروعة الفصاحة والبيان، وكساه حلة البلاغة وجلال الإعجاز، فدهشت به العرب جميعاً، إذ سمعته حتى قال قائلهم : (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)^(١).

وخر بعضهم ساجداً تعظيماً عندما سمعه يتلى، وانجذبت إليه عقول صناديد الكفر والعناد فكانوا يستمعون إليه تلهذاً وإعجاباً.

بل انقادت إليه قلوب العرب والعجم عندما كشف الستار عن جماله، وحاكى العقول، لذلك خالطت محبته بشاشة القلوب حتى أن الجنَّ انقادت إليه عندما رأت إعجازه وأيقنت بسلطانه : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلَ أَنَا جَبَّأَ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٢).

لذلك أدلى الصحابة (رضي الله عنهم) بدلوهم في كشف الستار عن معانيه، ثم جاء التابعون فشاركوا في تفسيره، ومازالت ألسنة العلماء وأقلامهم تخط في تفسيره، وبيان مسالكه حتى هذا العصر، من مختلف مستوياتهم، وتنوع تخصصاتهم سواء في ذلك العلوم الدينية أو الاجتماعية أو الأخلاقية والسلوكية، وكذا الاقتصادية والسياسية والعسكرية والكونية.

وما زالت معاني القرآن الكريم بكرةً تتجدد في كل عصر لأنه القاعدة العريضة للشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان. ولما كانت معاني

(١) هذه القصة أخرجها الحاكم في المستدرك من حديث عبدالرزاق عن معمر بن راشد عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ٥٠٧/٢، وأخرجها البيهقي في دلائل النبوة من طريق عبدالرزاق أيضاً، كما أخرجها من طرق أخرى مرسلة ومسندة بالإسناد السابق ١٩٨/٢ - ٢٠٥، وانظر: البداية والنهاية ٦٠/٣ - ٦١، السيرة النبوية ٢٧٠/١.

(٢) سورة الجن، الآيتان (١)، (٢).

هذا القرآن مكنونة في ألفاظه العربية المعجزة تنوعت مسالك العلماء في استخراج معانيه من هذه الألفاظ ، وقامت دراسات حول ألفاظه العربية كي يتسنى للفقهاء، والمفتي، والحاكم، وطالب الفائدة معرفة أحكامه ومعانيه، وقد نتج عن بعض هذه الدراسات ما يسمى بالوجوه والنظائر في القرآن الكريم التي كشفت النقاب عن المعاني المتعددة والمتجددة التي يصلح أن يدل عليها اللفظ الواحد، وكذلك المعنى الواحد الذي يصلح أن تدل عليه ألفاظ متعددة. وهذا يدل على اتساع قاعدة الشريعة الإسلامية كي تصلح لعلاج الحياة البشرية في كل مكان وزمان.

هذا ولما انقطع عقد المسلمين في هذه الأيام بسبب بعدهم عن كتاب ربهم تعذر عليهم فهم علومه، كما تعذر عليهم فهم معانيه، وبالتالي كان هذا العلم (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) بعيداً عن أفكار المسلمين وأذهانهم، لهذا أحبيت أن أدلو بدلوي مع الباحثين في هذا المجال كي أقرب هذا العلم إلى أذهان المسلمين حسب المستطاع، فلعل في ذلك سبيل هداية وإنارة للطريق، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الوجوه والنظائر لغة :

الوجوه: قال ابن دريد^(١): «وجه الكلام: السبيل التي تقصدها به، وصرفت الشيء عن وجهه أي عن سننه. وكساء موجه: له وجهان، ويجمع وجه على أوجه ووجوه وأجوه»^(٢).

وفي لسان العرب لابن منظور^(٣): (... وفي الحديث «أنه ذكر فتناً

(١) هو: محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، أبوبكر، الأزدي البصري صاحب التصانيف، قال الذهبي: كان آية من الآيات في قوة الحفظ، من تصانيفه: الجمهرة في اللغة، والمجتنى، وغير ذلك. توفي سنة ٣٢١هـ.

انظر: نزهة الألباء ص ١٩١، سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥.

(٢) انظر: جمهرة اللغة، مادة (وجه).

(٣) هو: محمد بن مكرم بن علي وقيل رضوان بن منظور جمال الدين أبوالفضل. كان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة. توفي سنة ٧١١هـ.

انظر: الوافي بالوفيات ٥٤/٥، بغية الوعاة ٢٤٨/١.

كوجوه البقر^(١) أي يشبه بعضها بعضاً لأن وجوه البقر تتشابه كثيراً.. وفي حديث أبي الدرداء^(٢) : «لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوها»^(٣) أي ترى له معاني يحتملها فتهاب الإقدام عليه.. ورجل ذو وجهين إذا لقي بخلاف ما في قلبه^(٤).

وقال ابن فارس^(٥) : (وجه/الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء، والوجه مستقبل لكل شيء. يقال: وجه الرجل وغيره. وربما عبر عن الذات بالوجه. وتقول: وجهي إليك، وتقول: واجهت فلاناً أو واجهه إذا جعلت وجهك تلقاء وجهه)^(٦).

والنظائر: جمع نظير، وهو المماثل والشبيه، يقال: فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء^(٧)، ومن ذلك قول ابن مسعود^(٨) : «لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقوم بها عشرين سورة من المفصل»^(٩)، «يريد السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٩١/٥.

(٢) هو: عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، شهد أحداً وأبلى يومئذ بلاءً حسناً، حكيم هذه الأمة، كان عالم أهل الشام ومقرىء أهل دمشق وقاضيه. توفي سنة ٣٢ هـ.

انظر: أسد الغابة ٩٧/٦، العبر ٣٣/١، تهذيب التهذيب ١٧٥/٨.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٧/٢ ولفظه «عن أبي قلابة»: أن أبا الدرداء كان يقول: «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها».

(٤) انظر: ٥٥٥/١٣، مادة (وجه).

(٥) هو: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين الرازي، من أكابر أئمة اللغة، كان فقيهاً، شافعيّاً، حاذقاً ثم انتقل إلى مذهب مالك في آخر أمره، من مصنفاته: حلية الفقهاء، متخير الألفاظ، توفي سنة ٣٩٥ هـ.

انظر: نزاهة الألباء ص ٢٣٥، الوافي بالوفيات ٢٧٩/٧.

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة ٨٨/٦.

(٧) انظر: جوهرة اللغة لابن دريد، مادة (نظر) ٣٧٩/٢.

(٨) هو: عبدالله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدرين، كان ممن يتحرى في الأداء ويشدد في الرواية. مات سنة ٣٢ هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ١٣/١، الإسماعية ٢٣٣/٤.

(٩) انظر: فتح الباري شرح صحيح بحري لابن حجر ٢٥٩/٢، باب الجمع بين السورتين في الركعة، (ح ٧٧٥).

القصص، لا المتماثلة في عدد الآي، لما سيظهر عند تعيينها»، قال المحب الطبري (١): «كنت أظن أن المراد أنها متساوية في العدد، حتى اعتبرتها فلم أجد فيها شيئاً متساوياً» (٢)، وفي تاج العروس للزبيدي (٣): «النظائر: الأفاضل والأمثال لاشتباه بعضهم ببعض في الأخلاق والأفعال والأقوال» (٤)، ونظائر القرآن: سور المفصل سميت لاشتباه بعضها بعضاً في الطول» (٥).

وقد استعمل المفسرون النظائر للدلالة على الألفاظ المختلفة لفظاً والمتفقة معنى، فقالوا: الابتلاء، والاختبار، والامتحان: نظائر، كما استعمل الأصمعي (٦) في العدد، فقال: عدت إبل فلان نظائر أي مثني مثني» (٧).

الوجوه والنظائر اصطلاحاً :

حينما تعرضنا للمدلول اللغوي وجدنا أن علماء من تكلم في الوجوه والنظائر قد جعلوا لهذه الألفاظ معاني اصطلاحية فيما بينهم وجعلوها

(١) هو: أحمد بن عبدالله بن محمد أبو العباس المكي الشافعي المحب الطبري. كان إماماً زاهداً صالحاً كبير الشأن. صنف الأحكام الكبرى.

توفي سنة ٦٩٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١٤٧٤/٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥١٤.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢٥٩/٢، باب الجمع بين السورتين في الركعة (ح ٧٧٥).

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى، من علماء اللغة والحديث والرجال والأنساب، ومن كبار المصنفين. من مصنفاته: تاج العروس في شرح القاموس، إتخاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي.

توفي سنة ١٢٠٥هـ.

انظر: الأعلام ٧٠/٧، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٨٢/١١.

(٤) انظر: ج ١٤٩/٢٤، ٢٥٢، ٢٥٥.

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصم، أبوبكر الأصمعي الباهلي، صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح. توفي سنة ٢١٦هـ.

انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ١٦٧، نزهة الألباء ص ٩٠.

(٧) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (نظر) ٢١٩/٥.

أسماء لكتبتهم. وكان أول من عرّف الوجوه والنظائر ابن الجوزي^(١) في كتابه «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» حيث قال: (واعلم أن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى، هذا ما يسمى «الوجوه»، أما النظائر: «فهو اسم للألفاظ، وعلى هذا تكون الوجوه اسماً للمعاني، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر»^(٢). وهذا التعريف لم يسلم من نقد «الزركشي»^(٣) و«السيوطي»^(٤)، وهما من أبرز من كتب في الدراسات القرآنية، أما الزركشي فبعد أن عرّف الوجوه والنظائر بقوله: (فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ «الأمة»، والنظائر كالألفاظ المتواطئة)، قال: (وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وُضِعَ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد

(١) هو: عبدالرحمن بن علي أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي، كان مبرزاً في التفسير، وفي الوعظ، وفي التاريخ.

من مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، توفي سنة ٥٩٧هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١٤٠/٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٦١.

(٢) انظر: ٢/١.

(٣) هو: محمد بن عبدالله بن بهادر بدر الدين الزركشي، أحد العلماء الأثبات الذين برزوا في الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، مصنفاته: البرهان في علوم القرآن، البحر المحيط في أصول الفقه. توفي سنة ٧٩٤هـ.

انظر: الدرر الكامنة ٣/٣٩٧، شذرات الذهب ٦/٣٣٥.

(٤) هو: عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد أبو الفضل جلال الدين الخضرى السيوطي. أحد العلماء الأثبات والمبرزين في التفسير والحديث والفقه وغيرها.

من مصنفاته: الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، الإتيان في علوم القرآن. توفي سنة ٩١١هـ. انظر: حسن المحاضرة ١/٣٣٥، شذرات الذهب ٨/٥١، هدية العارفين ٥/٥٣٤.

الوجوه والنظائر في القرآن الكريم د. سليمان بن صالح القرعاوي

في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام والنظائر نوعاً آخر كالأمثال^(١).

وكذلك السيوطي اقتفى أثر صاحب «البرهان» في نقده لتعريف «ابن الجوزي» وانتهى إلى تعريفه بقوله: (فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ «الأمة»^(٢)..).

أما صاحب «كشف الظنون» فلم يتقبل نقد «الزركشي» و«السيوطي» بل أيد ابن الجوزي فيما ذهب إليه، فقال: (.. ومعناه أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني)^(٣).

وأقول: إن العلماء في هذا المجال يذكرون الكلمة الواحدة، ثم يذكرون معانيها المتعددة، ويستدلون على كل معنى بالآيات القرآنية، مما يدل على أن الوجوه للمعاني، إذ يشيرون إلى الكلمة، ويقولون.. وفيها سبعة عشر وجهاً.. وفيها أربعة وجوه.. وهكذا نجد أنهم يريدون بهذا الوجه معنى يختلف قريباً وبعداً عن معنى آخر مراداً من آية أخرى.. والله أعلم.

الفرق بين الوجوه والنظائر في القرآن الكريم وبين تفسير المفردات :

إذا أردنا أن نوضح الفرق بين التفسير بالوجوه والنظائر، والتفسير المألوف للمفردات يمكن أن نقول :

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/١٠٢.

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن ٢/١٢١.

(٣) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ٢/٢٠٠١.

أولاً : أن التفسير بالوجوه والنظائر يختص بنوع واحد من المفردات، فيذكر عدد الوجوه التي دلّ عليها اللفظ في جميع ما ذكر من آيات، مستعيناً على ذلك بما يرشده إليه موضعها في الآية، ثم يذكر لكل وجه جميع الآيات أو بعضها مما ورد بها اللفظ ودلّ عليه.

ثانياً : التفسير للمفردات يأتي باللفظ الوارد في القرآن الكريم، فيذكر معناه أو معانيه في اللفظ على طريقة أصحاب المعاجم مستعيناً باللغة أو ما فسره المفسرون دون أن يذكر لفظ «الوجوه».

إذاً فالتفسير بالوجوه والنظائر نوع من علوم القرآن الكريم، إذ يبحث في ألفاظ القرآن، ويوضح ما ورد في أكثر من آية، وكانت دلالته على معناه في واحدة منها غير معناه في الآيات الأخرى التي ورد فيها — أي أن التفسير الذي يختص به هذا النوع يقوم بالنظر في معنى كل لفظ ورد متكرراً في آيات القرآن، وكانت دلالته في آية أو بعض الآيات التي ورد فيها مبايناً لدلالته على معناه في الآية أو الآيات الأخرى، ثم يقوم بحصر تلك المعاني المتعددة، ويجعلها وجوهاً للفظ الواحد.

ولتوضيح ذلك نذكر مثلاً لكل منهما :

لقد ورد في القرآن الكريم مادة لبس في آيات متعددة منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ﴾^(١) وقوله : ﴿لَا تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْمُرُونَ الْحَقَّ﴾^(٢)

وقوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٣).

وقوله : ﴿مَنْ لَبَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَّاسٌ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة من الآية (٤٢).

(٢) سورة آل عمران من الآية (٧١).

(٣) سورة الأنعام من الآية (٨٢).

(٤) سورة البقرة من الآية (١٨٧).

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا الْكِلَإَ لِبَاسًا ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ قَدْ أَرْزَلْنَا عَنْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ ^(٢) . وقوله : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ ^(٣) . وقوله : ﴿ وَلِبَاسُ الْقُوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ ^(٤) . وغيرها .

فلو تأملنا اشتقاقات هذا اللفظ في هذه الآيات لوجدنا أن معناه ليس واحداً فيها، إذ أننا نجد معناه في الآيات الثلاث الأولى «الخلط»، ومعناه في الرابعة والخامسة (السكن) ومعناه في السادسة والسابعة (الثياب) ومعناه في الثامنة (العمل الصالح) فنعلم أن للفظ (اللباس) أربعة وجوه ^(٥) .

أما مثال التفسير للمفردات، فلنأخذ لفظ : «بيع» . قال الراغب الأصفهاني ^(٦) في المفردات ^(٧) «البيع» إعطاء المثلث وأخذ المثلث، والشراء إعطاء المثلث وأخذ المثلث، ويقال للبيع الشراء، وللشراء البيع وذلك بحسب ما يتصور من المثلث والمثلث، وعلى ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ ﴾ ^(٨) .

وقال عليه السلام : «لا يبيعن أحدكم على بيع أخيه» ^(٩) أي

- (١) سورة النبأ من الآية (١٠) .
- (٢) سورة الأعراف من الآية (٢٦) .
- (٣) سورة الدخان من الآية (٥٣) .
- (٤) سورة الأعراف من الآية (٢٦) .
- (٥) انظر: الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٠٥ تحقيق عبدالله محمود شحاته .
- (٦) هو: الحسين بن محمد أبوالقاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، صاحب اللغة العربية والحديث والشعر . من تصانيفه: المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢ هـ وقيل غير ذلك . انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٢٠، بغية الوعاة ٢/٢٩٧ .
- (٧) هو كتاب المفردات في غريب القرآن تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني .
- (٨) سورة يوسف من الآية (٢٠) .
- (٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٢٤ (٣٤ - كتاب البيوع) باب لا يبيع على بيع أخيه، ج ١٠٨٢ ولفظه: (لا يبيع بعضكم على بيع أخيه)، وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١١٥٤ (٢١ - كتاب البيوع، ج ٨) بمثله .

لا يشتري على شراه، وأبعت الشيء عرضته للبيع نحو قول الشاعر :
..... فرسا فليس جواده بمباع^(١)

والمبايعة والمشاركة تقالان فيهما، قال الله تعالى :

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢) . وقال : ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾^(٣) .

وقال : ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾^(٤) . وقال : ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ﴾^(٥) .

وبايع السلطان إذا تضمن بذل الطاعة له بما رضى له ويقال لذلك بيعة ومبايعة، وقوله عز وجل ﴿فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾^(٦) .

إشارة إلى بيعة الرضوان المذكورة في قوله تعالى :

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٧) .

وإلى ما ذكر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٨) الآية .

وأما الباع فمن الواو بدلالة قولهم: «باع في السر يبيع إذا مد باعه»^(٩) .

فلو تأملنا هذين المثالين لوجدنا الفرق واضحاً بين العلمين : «علم الوجوه والنظائر، وعلم التفسير بالمفردات»، إذ أن الأول يذكر اللفظ،

(١) البيت للأجدع بن مالك بن أمية الهمداني.

انظر: اللسان ٢٥/٨، وتاج العروس ٣٦٩/٢٠ والبيت كما ورد فيهما:

فرضيت آلاء الكميت، فمن يبع

فرسا، فليس جوادنا بمباع

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٧٥).

(٣) سورة الجمعة من الآية (٩).

(٤) سورة إبراهيم من الآية (٣١).

(٥) سورة البقرة من الآية (٢٥٤).

(٦) سورة التوبة من الآية (١١١).

(٧) سورة الفتح من الآية (١٨).

(٨) سورة التوبة من الآية (١١١).

(٩) انظر: ص ٦٧.

وعدد وجوهه، ثم يضع كل وجه مع اللفظ الدال عليه في الآيات القرآنية، بخلاف التفسير بالمفردات، فهو يأتي ابتداءً بالكلمة المفردة، ثم يذكر معناها لغة الاستشهاد عليها بكلام العرب المحتج بقولهم، أو كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يذكر بعض الآيات التي ورد بها اللفظ في مورد الآية كذا.

أهمية هذا العلم والتدوين فيه :

لم تكن لغة العرب ضيقة التعبير عن المعنى المراد، وإنما كانت واسعة الدائرة في ذلك، إذ لدى العرب القدرة على التعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة، وألفاظ مختلفة حسب ما يقتضيه حال المخاطب والسامع، وبذلك يمكن فهم المعنى المراد عند المخاطبين بصورة كاملة، مهما اختلفت ظروفهم، وأصنافهم، وتعددت مستوياتهم الفكرية.

هذا وإن القرآن قد نزل بلغة العرب الذين اشتهروا بقوة الفصاحة والبلاغة، فأعجزهم فصاحته وبيانه المعجز، وبلاغته التي تقاصرت دونها بلاغتهم فأدهشهم فصاحته وبيانه وأعجزهم بلاغته التي لم تطاول إليها بلاغتهم إذ كان أوسع دائرة في أسلوبه، وأدق معنى في تعبيره، وأكثر استعمالاً للألفاظ الدالة على المعنى الواحد، وأفضل صياغة للفظ الواحد الدال على المعاني المتعددة بما أصبح يعرف بالوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

لذلك اعتنى العلماء المتخصصون بعلم القرآن الكريم بهذا الجانب عناية خاصة، وذلك لأهميته وخطره، إذ به تتسع قاعدة المفاهيم الإسلامية، وتصل إلى البعيد والقريب، والعالي والداني.

فكان منهم من جمع آيات القرآن الكريم التي اشتملت جميعها على لفظ معين يدل كل مجموعة منها على معنى واحد من المعاني يختلف فيه عن المجموعة الأخرى.

ومنه من اعتنى بشرح الألفاظ القرآنية التي روعي فيها السياق القرآني، وكان الاهتمام بهذا الجانب قد أدى إلى الحفاظ على السياق القرآني، والصياغة القرآنية التي حوت المعاني المتعددة. فعندما كثرت الفتوحات الإسلامية، ودخل العجم في دين الإسلام، واختلطوا بالعرب فرمما قد يتسبب ذلك في نسيان العرب لسياق اللفظ القرآني.

لذا نال هذا العلم تلك الأهمية، فكتب فيه العلماء منذ بداية القرن الثاني الهجري، فمن أول من صنّف فيه :

- (١) عكرمة مولى ابن عباس ت ١٠٥هـ^(١).
- (٢) علي بن أبي طلحة ت ١٤٣هـ^(٢).
- (٣) مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ، وكتابه (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم)^(٣).
- (٤) هارون بن موسى الأعور ت ١٧٠هـ، وكتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)^(٤).
- (٥) العباس بن الفضل الأنصاري الموصلّي المقرئ ت ١٨٦هـ^(٥).
- (٦) يحيى بن سلام ت ٢٠٠هـ، وكتابه (التصاريف)^(٦).
- (٧) علي بن وافد^(٧).
- (٨) الحكيم الترمذي ت ٢٥٥هـ، وكتابه (تحصيل نظائر القرآن)^(٨).
- (٩) محمد بن يزيد أبو العباس المبرد ت ٢٨٦هـ، وكتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)^(٩).

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لابن الحوزي ٢/١.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) طبع بتحقيق د. عبدالله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) انظر: نزهة الأعين النواظر ٢/١.

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) طبع بتحقيق د/ هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع.

(٧) انظر : عيون المناظرات للسكوني، مناظرة رقم ١٧٨.

(٨) منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الدول العربية تحت رقم (البلدية ٢/٣٥٨٥ خ).

(٩) مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ، بعناية عبدالعزيز الميمني الراجكوني.

- (١٠) محمد النقاش ت ٣٥١هـ^(١) .
- (١١) أبوالحسين أحمد بن فارس القزويني ت ٣٩٥هـ، وكتابه (الأفراد)^(٢) .
- (١٢) الثعالبي ت ٤٢٩هـ، وكتابه (الأشباه والنظائر)^(٣) .
- (١٣) إسماعيل الحيري النيسابوري ت ٤٣٠هـ، وكتابه (وجوه القرآن)^(٤) .
- (١٤) الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي (أبو علي) ت ٤٧١هـ^(٥) .
- (١٥) الحسين الدامغاني ت ٤٧٨هـ، وكتابه (الوجوه والنظائر)^(٦) .
- (١٦) علي بن عبيدالله الزاغوني الحنبلي ت ٥٩٧هـ^(٧) .
- (١٧) عبدالرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧هـ، وكتابه (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)^(٨) .
- (١٨) الفيروز آبادي ت ٨١٧هـ^(٩) .
- (١٩) محمد بن محمد بن علي البليسي القاهري ت ٨٨٧هـ، وكتابه (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن الكريم)^(١٠) .
- (٢٠) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ^(١١) .

-
- (١) انظر: كشف الظنون ٢٠٠١/١، ومعجم المؤلفين ٢١٤/٩ .
- (٢) انظر: البرهان للزركشي ١٠٢/١ .
- (٣) منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الدول العربية تحت رقم (ولي الدين ٥١٠٥٢ ق) .
- (٤) منه نسخة مخطوطة بجامعة الدول العربية تحت رقم جامعة كمبريدج ١٢٨٢ .
- (٥) انظر: نزهة الأعين النواظر ٢/١ .
- (٦) حققه ورتبه وأكماله وأصلحه عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين بيروت .
- (٧) انظر: نزهة الأعين النواظر ٢/١ .
- (٨) طبع بالهند أولاً بتحقيق السيدة مهر النساء آم. آي لنيل درجة الدكتوراه. وطبع ثانياً ببيروت بتحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضي لنيل درجة الماجستير .
- (٩) طبع باسم/ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز بتحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت .
- (١٠) طبع بمؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية بتحقيق الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد .
- (١١) له كتاب معترك الأقران في مشترك القرآن، وهو خلاف معترك الأقران في إعجاز القرآن، ولم يعثر على الأول وهو المقصود، ذكره السيوطي في الإتقان ١٢١/٢ .

منزلة علم الوجوه والنظائر بين العلوم الشرعية بعامة وعلوم القرآن بخاصة :

أولاً : منزلته بين العلوم الشرعية بعامة :

لا يشته على الباحثين أن هذا العلم يشرف بقدر ما لغايته من الفضل والشرف، وهذا العلم عظيم الأثر لما في معرفته من إدراك لألفاظ القرآن الكريم الذي هو لبّ الشريعة، وأصلها الأول، فمتعلق هذا العلم هو القرآن الكريم الذي فيه العلوم الشرعية، وهو عمادها ورأس سنامها، ولا يستقيم لعالم في العقائد ولا لمجتهد في الفقه إلا إذا علم، وفقه كل لفظ ومعناه، وبخاصة إذا ورد بمعان متعددة يعسر على الناظر إليها إدراكها من النظرة الأولى، بل لابد من النظر الثابت والفهم السديد لهذه المعاني المتباينة لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقائد والأحكام، فلا يستغني عالم العقائد مثلاً عن معاني الظن التي وردت في قوله تعالى :

﴿إِنْ يَتْلُوْنَ إِلَّا الظَّنَّ﴾^(١) . ثم تأتي في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّ﴾^(٢) .

بمعنى اليقين، والمجتهد في الفقه كذلك ينظر في هذا العلم فيتبين له أحكام كثيرة.

وهكذا فإن المتخصص في علوم القرآن يجد بغيته فيما ينظر فيه ويطلبه.

ثانياً : في علوم القرآن بخاصة :

كانت العناية بعلم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم منذ بدأت العناية بتدوين علوم القرآن، فوجد أن العلماء يبحثون في علوم القرآن ثم يفردون أبواباً للوجوه والنظائر من بين أبواب كتبهم، كما صنع الزركشي في كتابه

(١) سورة النجم من الآية (٢٨).

(٢) سورة الحاقة الآية (٢٠).

الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ————— د. سليمان بن صالح القرعاوي

«البرهان في علوم القرآن»، والسيوطي في كتابه «الإتقان» و«معترك الأقران في إعجاز القرآن»، بيد أن أهمية هذا العلم قد جعلت بعضهم يفردونه في مؤلفات مستقلة، فهذا ابن الجوزي قد كتب كتابه «فنون الألفان في عجائب علوم القرآن»^(١)، ولكنه أفرد الوجوه والنظائر القرآنية في كتاب مستقل أسماه «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» اهتماماً بشأنه، وسعة مادته، ثم اختصره في كتاب «منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم»^(٢).

وهذا السيوطي يفرد له باباً في كتابه «الإتقان»، ثم أفرد في كتاب مستقل أسماه «معترك الأقران في مشترك القرآن»، وكذلك غيرها من العلماء.

ومن العلماء من لم يكتب كتاباً شاملاً في علوم القرآن، ولكنه اعتنى بهذا العلم على وجه الخصوص — أعني الوجوه والنظائر في القرآن الكريم — وأفرد له كتاباً «كمقاتل بن سليمان» في كتابه «الأشباه والنظائر في القرآن الكريم»، وهارون بن موسى، أبو عبدالله الأزدي في كتابه «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم». ومن هنا يتضح ما لهذا العلم من منزلة بين العلوم الشرعية بعامة، وعلوم القرآن بخاصة.

نشأته :

إن هذا العلم ليس من العلوم المستحدثة، وإنما وجد منذ عصر الرسول ﷺ، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله : «لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة».

وهذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً، وقد أخرج المرفوع مقاتل بن

(١) انظر: كشف الظنون ١٢٩٢/٢.

(٢) حققه كل من الدكتور محمد السيد الصفطاوي والدكتور فؤاد عبدالمعزم أحمد، طبع منشأة المعارف بالإسكندرية.

سليمان البلخي^(١) — وهو متهم بالكذب — في كتابه الاشباه والنظائر في القرآن الكريم بإسناده بلفظ «لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»^(٢). وأخرجه ابن عبد البر^(٣) بإسناده من حديث شداد بن أوس^(٤) (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ولا يفقه العبد كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»^(٥).

وهذا الطريق ضعيف جداً، وذلك لضعف صدقة بن عبدالله

السمين^(٦)، وكذا فيه أبان بن عياش^(٧) وهو متروك الحديث. أما الطريق الموقوف فقد جاء موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه فقد أخرجه عبدالرزاق^(٨) من حديث معمر بن راشد^(٩) عن أيوب

(١) هو: مقاتل بن سليمان البلخي، أحد المفسرين، جرّحه علماء الجرح والتعديل، وأثنى عليه بعضهم تفسيره لكتاب الله وهو تفسير القرآن بالقرآن، من مصنفاته: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم توفي سنة ١٥٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٣/١٦٠، ميزان الاعتدال ٤/١٧٣.

(٢) انظر: الإتيان ٢/١٢١.

(٣) هو: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر، أبو عمر، المري القرطبي، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، من مصنفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: الصلة لابن بشكوال ٢/٦٧٧، وفيات الأعيان ٦٦/٧.

(٤) هو: شداد بن أوس بن ثابت، أبويعل، ويقال أبو عبدالرحمن الأنصاري النجاري الخزرجي، من فضلاء الصحابة وعلمائهم، نزل بيت المقدس، توفي سنة ٥٨هـ. انظر: الإصابة ٣/٣١٩.

(٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ٢/٤٥.

(٦) هو: صدقة بن عبدالله السمين، أبو معاوية الدمشقي. ضعفه أحمد والبخاري، وقال أبو زرعة: كان قدرياً ليناً. وقال الذهبي في السير: «هو ممن يجوز حديثه، ولا يحتج به». مات سنة ١٦٦هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٢/٣١٠، سير أعلام النبلاء ٧/٣١٤.

(٧) هو: أبان بن أبي عياش من التابعين، قال أحمد: تركوا حديثه، روى له أبو داود. انظر: المغني في الضعفاء ١/٧.

(٨) هو: عبدالرزاق بن همام بن نافع، أبوبكر الحميري مولا هم الصنعاني. قال ابن حجر: ثقة حافظ، مصنف، شهير، عمي في آخر عمره فتغير، وكان يتشيع توفي سنة ٢١١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٥٦٣، تقريب التهذيب ١/٥٠٥.

(٩) هو: معمر بن راشد، أبو عروة بن أبي عمرو، الأزدي مولا هم البصري، نزيل اليمن، كان من أوعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف. توفي سنة ١٥٣هـ. انظر: طبقات خليفة بن خياط ص ٤٢٦، سير أعلام النبلاء ٧/٥.

الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ————— د. سليمان بن صالح القرعاوي

السختياني^(١) عن أبي قلابة^(٢) عن أبي الدرداء بلفظ «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة»^(٣) ورجال هذا الإسناد كلهم أئمة جبال. وأخرجه ابن عبد البر من طريق عبدالرزاق السابق به. وأخرجه أبو نعيم^(٤) من حديث أبي بكر القطيعي^(٥) — وهو ثقة — عن عبدالله بن أحمد بن حنبل^(٦) — وهو ثقة — عن أبيه^(٧) — الإمام أحمد — عن إسماعيل بن عليّ^(٨) — وهو ثقة — عن أيوب السختياني عن أبي قلابة عن أبي الدرداء به^(٩).

- (١) هو: أيوب بن أبي تميمة كيسان، أبوبكر، السختياني العنزي مولاهم، البصري، عداده في صغار التابعين. قال الذهبي: إليه المنتهى في الإتيان. توفي سنة ١٣١هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٢٤٦/٧، سير أعلام النبلاء ١٥/٦.
- (٢) هو: عبدالله بن زيد بن عمرو، ويقال ابن عامر، أبو قلابة البصري، أحد الأئمة الأعلام، ذكره محمد ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة، كان ثقة كثير الحديث، روى له الجماعة. مات بالشام سنة ١٠٦ أو ١٠٧هـ وقيل مات سنة ١٠٤هـ.
- (٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٣/٧، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٣، تاريخ الثقات للعجلي ص ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/٤.
- (٤) انظر: المصنف، ٢٥٥/١١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
- (٥) هو: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن مهران، أبونعيم المهراني الأصبهاني. كان حافظاً مبرزاً، عالي الإسناد، عمل معجم شيوخه، وكتاب الخلية، والمستخرج على الصحيحين. توفي سنة ٤٣٠هـ.
- (٦) انظر: وفيات الأعيان ٩١/١، سير أعلام النبلاء ٥٥٣/١٧.
- (٧) هو: أحمد بن جعفر بن حمدان، أبوبكر القطيعي الحنبلي راوي مسند الإمام أحمد، والزهد والفضائل. ثقة زاهد، توفي سنة ٣٦٨هـ.
- (٨) انظر: الوافي بالوفيات ٢٩٠/٦، سير أعلام النبلاء ٢١٠/١٦.
- (٩) هو: عبدالله بن أحمد بن حنبل، أبو عبدالرحمن الشيباني المروزي البغدادي. قال الخطيب: كان ثقة، ثبتاً، فهماً. توفي سنة ٢٩٠هـ.
- انظر: تاريخ بغداد ٣٧٥/٩، سير أعلام النبلاء ٥١٦/١٣.
- (٧) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبدالله، المروزي، إمام المحدثين الناصر للدين والمناضل عن السنة والصابر في الحنة، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، صنف كتابه «المسند» جمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره. توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ.
- انظر: تاريخ بغداد ٤١٢/٤، تهذيب الكمال للمزي ٤٣٧/١، وفيات الأعيان ٦٣/١.
- (٨) هو: إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، أبويشر، الأسدي مولاهم البصري المعروف بابن عليه، كان فقيهاً، إماماً، مفتياً، من أئمة الحديث. توفي سنة ١٩٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٣٢٥/٧، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٩.
- (٩) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢٨١/١.

ومما تقدم يظهر أن الحديث يدور على أيوب السختياني — وهو ثقة حجة — عن أبي قلابة — وهو ثقة فاضل لكنه يرسل — وقد أرسل هذا الحديث عن أبي الدرداء، والدليل على إرساله بهذا الحديث: أنه روى عن حذيفة بن اليمان^(١) ولم يلحقه — قاله الذهبي^(٢) — ، وحذيفة مات سنة ٣٦هـ، وأبوالدرداء مات سنة ٣٢هـ في الراجح، وقيل سنة ٣١هـ^(٣)، فيكون على هذا لم يلحق أبا الدرداء من باب أولى.

علماً أنني لم أجد — فيما لدي — من نص على سماعه من أبي الدرداء، وبهذا يكون الحديث موقوفاً مرسلأً، غير أنه صحيح إلى أبي قلابة. وقد صحح ابن عبد البر هذا الحديث بقوله: هذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء.. أ.هـ^(٤).

وقد اعتنى الصحابة بتفسير القرآن الكريم، وبيان معانيه، فحكى عنهم وجوه متعددة في تفسير الآية الواحدة، أو اللفظة القرآنية الواحدة. ويشهد له ما أخرجه ابن سعد^(٥) من طريق عكرمة^(٦) عن ابن

(١) هو: حذيفة بن اليمان العسبي، من كبار الصحابة، استعمله عمر على المدائن، لم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان، وبعد بيعة علي، بأربعين يوماً (رضي الله عنهم أجمعين) وذلك سنة ٣٦ هـ. انظر: الإصابة ٤٤/٢.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبدالله الذهبي. عالم جليل، عني بالقراءات من صغره، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأكثر من التصنيف. من آثاره: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال في نقد الرجال. توفي سنة ٧٤٨ هـ. انظر: فوات الوفيات والذيل عليها ٣/٣١٥، غاية النهاية ١٧١/٢. وانظر: تذكرة الحفاظ ٩٤/١.

(٣) انظر: أسد الغابة ٩٧/٦، وتذكرة الحفاظ ٢٤/١.

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٤٥/٢.

(٥) هو: محمد بن سعد بن منيع، أبو عبدالله، مولى بني هاشم الحافظ البصري، كان صدوقاً ثقة، قال الخطيب البغدادي: «.. ومحمد عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته وهو مولى الحسين..». صنف الطبقات الكبرى والصغير وهو كتاب الواقدي. توفي سنة ٢٣٠ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٥/٣٢١، الوافي بالوفيات ٣/٨٨، تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٥.

(٦) هو: عكرمة مولى ابن عباس أبو عبدالله المدني، أصله من البربر من أهل المغرب، كان من بحور العلم. توفي سنة ١٠٧ هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ١/٩٥، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٣.

عباس^(١) أن علي بن أبي طالب^(٢) رضي الله عنهما أرسله إلى الخوارج فقال: «أذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم في القرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة».

وأخرج من طريق آخر أن ابن عباس قال له: «يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل، قال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً. فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن، فلم تبق بأيديهم حجة»^(٣). وقد نقل عن الصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم من العلماء في تفسير الآية الواحدة معان متعددة: فمن ذلك ما نقل عن أبي العالية^(٤) قوله: كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنى، إلا هذه الآية: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ﴾^(٥).

(١) هو: عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، دعى له الرسول عليه الصلاة والسلام «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، كان بجرأ في علوم شتى، راوياً للحديث، مفسراً لكتاب الله. توفي سنة ٦٨هـ. انظر: الإصابة ١٤١/٤، وفيات الأعيان ٦٢/٣.

(٢) هو: علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، قاضي الأمة، وختن المصطفى ﷺ، ممن سبق إلى الإسلام وجاهد في الله حق جهاده، نهض بأعباء العلم والعمل، شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة. استشهد (رضي الله عنه) سنة ٤٠هـ. انظر: أسد الغابة ٩١/٤، تذكرة الحفاظ ١٠/١.

(٣) هذا اللفظ، عزاه السيوطي في الإتقان (١٢٢/٢) إلى ابن سعد، غير أنني لم أجد هذا اللفظ في طبقات ابن سعد، بيد أنه ساق القصة مطولة ٣٢/٣، كما أخرجها الطبري في تاريخه ٦٤/٥ — ٦٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٤/٧، وابن الأثير في الكامل ٣٢٧/٣، والياضي في مرآة الجنان ١٤٨/١، والذهبي في تاريخ الإسلام ص ٥٨٨.

وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٩/٦، وعزاها لأحمد والطبري، وكلهم ذكروا القصة مطولة، ومختصرة، ولم يذكر أحدهم اللفظ الذي ساقه السيوطي في الإتقان.

(٤) هو: رفيع بن مهران، أبو العالية، الرياحي البصري، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ بستتين.

قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن منه.. مات سنة ٩٠هـ وقيل سنة ٩٦هـ.

انظر: غاية النهاية ٢٨٤/١، طبقات الحفاظ للسيوطي ٢٩.

(٥) سورة النور من الآية (٣١).

أن لا يراها أحد» (١) .

وأخرج عن سعيد بن جبير (٢) ، قال: «العفو» في القرآن على ثلاثة أنحاء: نحو تجاوز عن الذنب، ونحو في القصد في النفقة :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُفْقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾ (٣) .

ونحو في الإحسان فيما بين الناس :

﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ﴾ (٤) .

وأخرج عن عكرمة، قال: «ما صنع الله فهو «السَّد»، ما صنع الناس فهو «السَّد»» (٥) .

وذكر أبو عمرو الداني (٦) في قوله تعالى:

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْحِجْرِ﴾ (٧) .

أن المراد بالحضور هنا المشاهدة. قال: وهو بالطاء بمعنى المنع والتحويط، قال: ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى : ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحْظَرِ﴾ (٨) .

(١) انظر الإنقان ١٣٧/٢ .

(٢) هو: سعيد بن جبير الأسدي مولا هم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الثالثة. قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ. انظر: تقريب التهذيب ٢٩٢/١، طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٨ .

(٣) سورة البقرة من الآية (٢١٩) .

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٣٧) . وانظر: الإنقان ١٣٨/٢ .

(٥) انظر: الإنقان ١٣٧/٢ .

(٦) هو: عثمان بن سعيد أبو عمرو الأموي مولا هم الأندلسي القرطبي ثم الداني، يعرف قديماً بابن الصيرفي .

قال الذهبي: إليه المنتهى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك .

من مصنفاته: كتاب التيسير، التلخيص في قراءة ورش. توفي سنة ٤٤٤ هـ .

انظر: جذوة المقتبس ص ٣٠٥، سير أعلام النبلاء ٧٧/١٨ .

(٧) سورة الأعراف من الآية (١٦٣) .

(٨) سورة القمر من الآية (٣١) . وانظر: البرهان في علوم القرآن ١١١/١ .

وقال أحمد بن فارس: «كل ما في القرآن من ذكر الأسف»، فمعناه الحزن إلا: ﴿فَلَاءِ اسْفُونَا﴾ (١) فمعناه أغضبونا.

وكل ما فيه من ذكر البروج فهي الكواكب إلا: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٢). فهي القصور الطوال الحصينة.

وكل ما فيه من «سخر» فالاستهزاء إلا: ﴿سُحْرِيًّا﴾ (٣). في الزخرف فهو من التسخير والاستخدام» (٤).

وهذا القدر فيه الكفاية للدلالة على وجود هذا النوع من التفسير في عصر الرسول ﷺ، والصحابة من بعده، والتابعين ومن جاء بعدهم إلا أنه لم تظهر دواعي تدوينه في زمن الرسول وأصحابه وتابعيه وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أن القرآن نزل بالسننهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة فهم من القدرة على إدراك ألفاظ القرآن ووجوه ألفاظه على حال لا تحوجهم إلى تدوينه، ولم يكن المجتمع العربي قد اختلط بعد باللسان الأعجمي الذي يحتاج إلى مثل هذه العلوم.

ثانياً: مشاهدتهم للتنزيل ومعرفة مناسبة النزول تساعدهم على فهم المراد من اللفظ في كل آية، وإن تعدد وروده في أماكن كثيرة من الآيات، ولكن ما إن جاء عصر أتباع التابعين حتى بعدت شقة الزمن بينهم وبين التنزيل فخفي عليهم بعض أسباب النزول، كما أن العجم قد دخلوا أفواجا في الإسلام وهم لا علم لهم باللغة العربية وأساليبها، بالإضافة إلى ذلك ظهور الأحزاب السياسية

(١) سورة الزخرف من الآية (٥٥).

(٢) سورة النساء من الآية (٧٨).

(٣) سورة الزخرف من الآية (٣٢).

(٤) انظر: الإقنان ١٣٢/٢ - ١٣٣.

الإسلامية التي حاولت أن تدعم مزاعمها بحمل الألفاظ على المعنى الذي يؤيد عقيدتها. كذلك انتشار تدوين العلوم، كل هذه الأمور كانت من أسباب تدوين هذا النوع من التفسير حفاظاً على هذا العلم من الضياع.

فمن هذا كله وما تقدم نجد أن هذا العلم كان موجوداً في عصر الرسول ﷺ والصحابة، والتابعين من بعدهم، وأن الدواعي الآنفة الذكر كانت من أسباب توسع هذا العلم وتدوينه في كتب وكراريس، ثم تتابع التأليف في القرون التالية.

وبالجملة فإن الاهتمام بالدراسات التي تتعلق بالقرآن الكريم إنما تعكس مدى العناية بهذا الكتاب الكريم، وقد ظهرت هذه العناية منذ عصر الصحابة كما أشرنا إلى ذلك في كثير من المواطن. ونرجو الله ألا تتوقف هذه الدراسات التي تكشف عن مكنونات القرآن وصلاحيته لكل زمن وكل جيل.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

قائمة المراجع والمصادر

- الإتيان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط . الثالثة ١٤٠٥هـ — دار التراث للنشر والتوزيع — القاهرة.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة — لعزالدين بن الأثير الجزري — ط . الشعب.
- الأشباه والنظائر للثعالبي، منه نسخة مخطوطة بمعهد المخطوطات لجامعة الدول العربية (سابقاً) مُدون عليها (ولي الدين ٥٢) عن النسخة الأصلية بمكتبة بايزيد بتركيا.
- الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي — تحقيق الدكتور عبدالله محمود شحاته — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني — حقق أصوله وضبط أعلامه، ووضع فهرسه علي محمد البجاوي — ط . دار الثقافة العربية للطباعة — القاهرة.
- الأعلام لخير الدين الزركلي — ط . السادسة ١٩٨٤م — دار العلم للملايين — بيروت.
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير — ط . الأولى ١٣٥١هـ — دار الفكر العربي — القاهرة.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط . الأولى ١٣٧٦هـ — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي — تحقيق الأستاذ محمد علي النجار — المكتبة العلمية — بيروت.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط . الثانية ١٣٩٩هـ — دار الفكر — القاهرة.
- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي — تحقيق عبدالمعلم الطحاوي، راجعه عبدالكريم العزباوي وعبدالستار أحمد فراج — طبعة حكومة الكويت ١٣٩٤هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الخلفاء الراشدين) لشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي — تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري — ط . الأولى ١٤٠٧هـ — دار الكتاب العربي — بيروت.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط . دار سويدان — بيروت.
- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي — المكتبة السلفية — المدينة المنورة.
- تاريخ الثقات للحافظ أحمد بن صالح العجلي — ترتيب نورالدين الهيثمي، وتضمنيات ابن حجر العسقلاني — وثق أصوله، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه د. عبدالمعطي قلعجي — ط . الأولى ١٤٠٥هـ — دار الكتب العلمية — بيروت.
- تاريخ خليفة بن خياط — تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري — ط . الثانية ١٤٠٥هـ — دار طبية — الرياض.
- تحصيل نظائر القرآن للترمذي — مخطوطة بمكتبة جامعة الدول العربية (سابقاً) تحت رقم (البلدية ٢/٣٥٨٥ خ).
- تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد الذهبي — ط . دار الفكر العربي.
- التصارييف ليحيى بن سلام — تحقيق الدكتورة هند شلبي — الشركة التونسية للتوزيع.

- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني — حققه، وعلّق حواشيه، وقدم له عبدالوهاب عبداللطيف — ط. الثانية ١٣٩٥هـ — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني — ط. الأولى ١٣٢٥هـ — دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني — حققه، وضبط نصه، وعلّق عليه الدكتور بشّار عوّاد معروف — ط. الأولى ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة — بيروت.
- جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبدالمبرّقي القرطبي — ط. إدارة الطباعة المنيرية — القاهرة.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي الأزدي — ط. دار المصرية للتأليف والترجمة ٢٩٦٦م — القاهرة.
- جوهرة اللغة لابن دريد — ط. دائرة المعارف العثمانية — الهند.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط. الأولى ١٣٨٧هـ — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني — ط. الثالثة ١٤٠٠هـ — دار الكتاب العربي — بيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني — مراقبة الدكتور محمد عبدالمعيد خان — ط. الثانية ١٣٩٢هـ — دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي — وثّق أصوله، وخرّج حديثه، وعلّق عليه الدكتور عبدالمعطي قلعجي — ط. الأولى ١٤٠٥هـ — دار الكتب العلمية — بيروت.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد الذهبي — أشرف على تحقيق الكتاب، وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط — ط. الثانية ١٤٠٢هـ — مؤسسة الرسالة — بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام، حققها، وضبطها، وشرحها، ووضع فهرسها مصطفى السقا وآخرون — مؤسسة علوم القرآن — بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحفي بن العماد الخنيلي — ط. دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري — إشراف بدر الدين جتين أر — دار الدعوة.
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري — وقف على طبعه، وتحقيق نصوصه، وتصحيحه وترقيمه محمد فؤاد عبدالباقى — دار الدعوة.
- الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال — ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
- طبقات الحفاظ للسيوطي — ط. الأولى ١٤٠٣هـ — دار الكتب العلمية — بيروت.
- الطبقات الكبرى لابن سعد — دار صادر — بيروت.
- طبقات النحويين واللغويين للزيدي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط. الثانية — دار المعارف — مصر.
- العبر في خبر من غير لشمس الدين محمد الذهبي — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — ط. الثانية مصورة ١٩٨٤م — مطبعة حكومة الكويت.
- غاية النهاية في طبقات القراء للجزري — عنيّ بنشره ج. برجستراسر — ط. الثانية ١٤٠٠هـ —

- دار الكتب العلمية — بيروت.
- فتح الباري بشرح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني — قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً، وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز — نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية.
- فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي — تحقيق الدكتور إحسان عباس — دار صادر — بيروت.
- الكامل في التاريخ لعزالدين أبي الحسن علي بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير — دار صادر — بيروت ١٤٠٢هـ.
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد — تحقيق الدكتور فؤاد عبدالمعتم — مؤسسة شباب الجامعة — الإسكندرية.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة — دار الفكر — ١٤٠٢هـ.
- لسان العرب لابن منظور — تصوير دار صادر — بيروت.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد — إشراف الأستاذ الميمني — المطبعة السلفية — الهند ١٣٥٠هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نورالدين الهيثمي — بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر — ط . الثالثة ١٤٠٢هـ — دار الكتاب العربي — بيروت.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لعفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعي البجلي — تحقيق عبدالله الجبوري — ط . الأولى ١٤٠٥هـ — مؤسسة الرسالة — بيروت.
- المستدرک علی الصحیحین فی الحديث لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاکم — دار الكتب العلمية — بيروت.
- مسند الإمام أحمد — دار الدعوة.
- المصنف لعبدالرزاق بن همام الصنعاني — عني بتحقيق نصوصه، وتخرج أحاديثه، والتعليق عليه حبيب الرحمن الأعظمي — ط . الثانية ١٤٠٣هـ — المكتب الإسلامي — بيروت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي — تحقيق علي محمد الجاوي — دار الفكر العربي — القاهرة.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس — تحقيق عبدالسلام هارون — دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت ١٣٩٩هـ .
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة — دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- المغني في الضعفاء لشمس الدين محمد الذهبي — تحقيق الدكتور محمد نورالدين عتر — سوريا.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني — تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني — دار المعارف — بيروت.
- منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لابن الجوزي — تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوي، والدكتور فؤاد عبدالمعتم أحمد — ط . منشأة المعارف — الإسكندرية.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد الذهبي — تحقيق علي محمد الجاوي — ط . الأولى ١٣٨٢هـ — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لابن الجوزي — عني بتصحيحه والتعليق

عليه السيدة/ مهر النساء، آيم. آي. ط . الأولى ١٣٩٤هـ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند.

- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي — دار الفكر — بيروت ١٤٠٢هـ .
- وجوه القرآن لإسماعيل الحيري — منه نسخة مخطوطة بجامعة الدول العربية تحت رقم (جامعة كمبريدج ١٢٨٢ QR).
- الوجوه والنظائر للدامغاني — حققه، ورتبه، وأكمله، وأصلحه عبدالعزيز سيد الأهل — دار العلم للملايين — بيروت.
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى الحجازي — منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم ٣٣٣٤/ف.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن خلكان — تحقيق الدكتور إحسان عباس — دار صادر — بيروت.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أليك الصفدي — ط . الثانية ١٩٨٥م ، بيروت.

